

التراجم والطبقات» (ص 70). أضف إلى ذلك «تعدد آراء النقاد والدارسين واختلافهم حول طبيعة السيرة الذاتية ومكانتها، بل وحتى وجودها، في الأدب العربي القديم» (ص 70). غير أنه يسلم، مع وجود هذين العائقين، بأنه من الصعب «إنكار وجود السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم». ولذلك يعزو ظهورها، في العصر العباسي بالخصوص، لمجموعة من العوامل «لعبت، فرادى أو مجتمعة، دورا هاما في ميلاد هذا الجنس الأدبي» (73)، كانحسار دور الشعر، واتصال العرب بالثقافات الأخرى، وانتشار التصوف، وتنافس العلماء، وتعدد الفرق الدينية والدويلات الإسلامية... إلخ. وتجده يعتبر، انطلاقا من هذه العوامل، أن أول نص سير ذاتي وصل إلينا، تاريخيا، هو لحنين بن إسحاق (النصف الأول من القرن الثالث للهجرة) (ص 76).

لا نجد فيما كتبه عبد المحسن طه بدر⁽¹⁾ بخصوص ما أسماه ب (رواية الترجمة الذاتية) (الفصل الثالث، ص 283 وما بعدها)، ما يتصل بموضوع السيرة الذاتية على نحو ما تدرجنا في معالجته، لدى من سبقوه إلى دراستها، سواء في اتصالها بجنس آخر كالرواية، أو في انفصالها عنها. ويعود ذلك إلى أن المجال الأساسي الذي تفرغ لبحثه يخص نشأة الرواية الحديثة في علاقتها بالتراث العربي القديم (ص 5)، وقد توخى، من الناحية المنهجية، تصنيف الأعمال المدروسة اعتمادا على «السمة الغالبة على العمل، وليس على تمثيله النقي والكامل لكل صفات النوع» (ص 6). وعلى هذا الأساس فإن دراسته اتخذت وجهة بيان دور الترجمة الذاتية في تطور الرواية. مع الإشارة إلى أنه يعلل (ظاهرة) بروز جماعة من الأدباء تعمل على تطوير (الترجمة الذاتية) و«تستغلها للمساهمة في ميدان الرواية» (ص 273) بدعوتها «إلى تحرير الفرد المصري، وإبراز وجوده المتميز واستقلاله الذاتي» بحكم انتمائهم إلى «الطبقة الوسطى المصرية من حيث الأصل والنشأة»، علاوة على تأثرهم «بالواقع المتخلف لمجتمعهم» واهتزاز نفوسهم من جراء «تأثير الحضارة والثقافة الغربية» (ص 287).

وخلاصة القول إن عبد المحسن طه بدر لم يهتم بالسيرة الذاتية إلا عرضا، وإن كانت الأسباب التي يفترضها لمساهمة (الترجمة الذاتية) في تطوير الرواية، من بين الأسباب التي افترضها غيره لتبرير ظهور (الترجمة الذاتية الفنية) مع بداية القرن العشرين.

يستعيد شكري المبخوت⁽²⁾ نفس المنطلقات التي اعتمدها عبد المحسن طه بدر في تفسير علاقة السيرة الذاتية بالرواية العربية في الأدب الحديث، وخصوصا عندما يقول:

1 - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر 1780/ 1983، دار المعارف، ط 4، 1983
2 - سيرة الغائب، سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب «الأيام»، دار الجنوب للنشر، 1992، تونس